تعريف مؤجز بكتب المقالات للشيخ علي الطنطاوي

الدكتور غلزار أحمد بال[1]

الملخص

تتم كتابة المقالة في المراحل العديدة، والطنطاوي أيضا يتبع المنهجية العامة لكتابة المقالة، غير أنه لكونه كاتبا ذا توجّه إسلامي يُدخل هذه المنهجية مقاييس يهيمن عليها فكره الإصلاحي، فهو يختار الموضوعات التي لها صلة مباشرة بالدعوة والإصلاح. فاختيار الموضوعات عنده يخضع لتوجهه الإسلامي سواء أكانت المقالة تدور حول قضية اجتماعية أو سياسية، وهدفه من وراء ذلك هو تزيين القيم الأخلاقية النبيلة وتقبيح الرذائل والضلالات. يستمد الطنطاوي من ذوقه الخاص وشعوره المرهف في المراحل التنفيذية لكتابة المقالة مثل اختيار العنوان وبناء التصور النظري الكامل وإجراءات عملية لها، فهو يختار العناوين التي تثير اهتمام القراء وتجذب انتباههم وتخدم مسار الكتابة، وهي دقيقة ودالّة على موضوع المقال، لأنه كاتب متمرن مارَس الكتابة في الصحافة منذ صغره، والمعالم الرئيسية لفكره ونظرياته واضحة عنده فتأتي أفكاره متسلسلة ومترابطة ويبرهنها بالأدلّة ويعرضها بالقوة والصراحة، ويتخير الأسلوب الأنسب، والطريقة المثلى التي تفي غرضه وتحقق أهدافه في سمو وإبداع.

تحليل مقالات الطنطاوي لأجل دراستها يساعدنا على إبراز خصائصها طالما نقسمها وفق المواضيع التي تصدى لها هذا الأديب، وتقسيمها وفق الذاتية والموضوعية لا يجدي نفعاً لأن المقالات مكتوبة بطابع أدبي ولا تخلو أي من مقالاته من ذاتيته فلذالك يكون التقسيم إلى الذاتية والموضوعية غير دقيق. هذا البحث يحتوي على

---

١ الأستاذ المساعد في الكلية الحكومية للنساء، جامعة كلستر، سري نغر.

مقالات الشيخ علي الطنطاوي وأحاول في هذا البحث أن ألقي الضوء على كتبه المقالات.

الكلمات المفتاحية: المقالة، الأدب، علي الطنطاوي، الأسلوب، العناوين، الأفكار، المراحل.

المقالة لغة واصطلاحا

المقال والمقالة في اللغة مشتقان من "القول" وتستعملان في معناه أي "الكلام"، وقد ورد في القاموس المحيط "القول: الكلام، أو كل لفظ مذل به اللسان، تاما كان أو ناقصا. ج: أقوال، جج: أقاويل."[١] وجاء في الحديث الشريف "نضَّر الله امرأً سَمِع مقالتي فوَعَاها وحَفِظها وبَلَّغها، فرُبَّ حامل فِقْه إلى مَن هو أفقه منه، ثلاث لا يغلُّ عليهنَّ قلبُ مسلم: إخلاصُ العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم؛ فإنَّ الدَّعْوة تُحيط من ورائهم)."[٢]

يدل المعنى المعجمي للمقالة على أنها عبارة عن مجموعة من الخواطر والتأملات التي لا تجري على نسق معين، من حيث أن الكلمة "المقالة" مصدر ميمي بمعنى القول، والقول قد يتشكل في أنماط متعددة وغير محددة. فلذلك كانت للمقالة أنماط وأشكال متعددة وضروب مختلفة صيغت صياغة أدبية في الأدب العربي في العصور المتقدمة.

> "لا بد لنا إذن أن نبحث عن المعنى الاصطلاحي للمقالة، والطريقة المثلى لذلك هي أن يطلع الباحث على جميع ما كتب من المقالات، ثم يضع تعريفا يشملها جميعا من غير استثناء، وهذا مطلب عسير، لأن الكاتب يكتب بملء حريته ويتصرف في موضوعه كما يحلو له، لذلك كان أقصى ما نطمح إليه أن نصل إلى تعريف يقرب المعنى إلى الأذهان، ولا بد لنا قبل أن نحاول مثل هذا التعريف أن نشير إلى أن الكتاب العرب

---

١ د. مصطفى فاروق: محاضرات في فن المقال، ص ٦.

٢ الترمذي: باب الحث على تبليغ السماع وقال هذا حديث حسن صحيح.

في العصور الأولى كانوا يؤلفون قطعا من النثر الأدبي في صور متنوعة، ولكنهم لم يكونوا يسمونها "مقالات" ومع ذلك فإن لفظ مقالة كان يستخدم بمعنى بحث في مسألة أو مذهب من المذاهب الدينية، أو يقسم الكتاب إلى "مقالات" كل واحدة منها تعالج بحثا دينيا أو فلسفيا أو علميا ومن هذا القبيل استخدام الكاتب الشاعر الفارسي النظامي العروضي الاصطلاح في كتابه "جهار مقالة" (أو المقالات الأربع)".[١]

يقدم لنا الدكتور محمد يوسف نجم تعريف المقالة كما يلي:

"المقالة نص نثري محدود الطول يدور حول موضوع معين تظهر فيه شخصية الكاتب، وله مقومات فنية تتمثل في المقدمة والعرض والخاتمة وشرطها الأساسي أن تكون تعبيرا صادقا عن شخصية الكاتب" [٢]

ويقول سيد قطب: "أما المقالة فهي فكرة قبل كل شيء وموضوع. فكرة واعية، وموضوع معين يحتوي قضية يراد بحثها، قضية تجمع عناصرها وترتب، بحيث تؤدي إلى نتيجة معينة وغاية مرسومة من أول الأمر. وليس الانفعال الوجداني هو غايتها ولكنه الاقتناع الفكري". [٣]

أنواع المقالة

قد دأب الباحثون على تقسيم المقالة إلى ذاتية وموضوعية بناء على غلبة الطابع الذاتي أو الموضوعي عليها. ولكن هناك إمكان تقسيما تأخري للمقالة إذا نظرنا إليها من زوايا مختلفة، ولا سيما باعتبار الكاتب والأسلوب.

---

١ د. محمد عوض محمد: محاضرات عن فن المقالة الادبية، القاهرة، مطبعة لحنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٩،

٢ د. محمد يوسف نجم: فن المقالة، ص ٩٤.

٣ سيد قطب: النقد الأدبي-أصوله ومناهجه، ص ١٠٦.

المقالة حسب الكاتب: يوجد للمقالة نوعان رئيسان حسب تدخُّل الكاتب في المقالة وهما:

المقالة الذاتية: هذا النوع من المقالات يعبر فيه الكاتب عن رأيه الشخصي وعواطفه الشخصية عن حدث أو مشهد معين، وهذا النوع يحتوي على الكثير من الصيغ البيانية، والعبارات الموسيقية، والصور الخيالية، وفي الأغلب يتناول الكاتب في مقالته مواضيع اجتماعية، أو شخصية. يقول د. محمد يوسف نجم عن هذا النوع من المقالة:

> "والمقالة الذاتية تلك التي تبدو فيها شخصية الكاتب جلية جذابة تستهوي القارئ وتستأثر بلبه، وعدة الكاتب في هذه المقالة الأسلوب الأدبي الذي يشع بالعاطفة ويثير الانفعال، ويستند إلى ركائز قوية من الصور الخيالية والصنعة البيانية والعبارات الموسيقية والألفاظ اللغوية الجزلة، وهي التي تعبر عن مشاعر كاتبها وتجسد أحاسيسه وتعكس عواطفه ونظرته إلى موضوع المقالة وموقفه إزاءها".[١]

المقالة الموضوعية: هذا النوع من المقالات هو عكس المقال الذاتي، حيث يبتعد الكاتب عن إظهار نفسه أو شخصه في المقالة، ويتناول موضوع المقالة بشكل موضوعي بعيداً عن العاطفة، داعماً أقواله بالأدلة والبراهين. وقد جاء في فن المقالة ليوسف نجم:

> " وهي تستقطب فيها عناية الكاتب، ومن ثم القارئ، حول موضوع معين يتعهد الكاتب بتجليته مستعينا بالأسلوب العلمي الذي ييسر له ذلك ومن خصائص هذا الأسلوب الوضوح والدقة وتسمية الأشياء بأسمائها ولا يبيح الكاتب لشخصيته وأحلامه وعواطفه أن تطغى على

---

١ د. محمد يوسف نجم: فن المقالة، ص ٩٦.

الموضوع."[1]

تعريف مؤجز بكتب ومجموعات المقالات للطنطاوي

١. البواكير

يجمع هذا الكتاب بعض مقالات الشيخ علي الطّنطاوي التي كتبها بين ١٩٢٩ و١٩٣٥ أي في الفترة التي كان عمره فيها بين ٢٠ و٢٦ سنة! أغلب هذه المقالات نشرها الشّيخ رحمه الله تعالى في الجرائد والمجلّات، وقام حفيده مجاهد مأمون ديرانيّة بجمعها وترتيبها ترتيبا زمنيا في هذا الكتاب. كتب علي الطنطاوي تلكَ المقالات في فترة الاحتلال الفرنسي لسوريا، وبداية هجرة اليهود إلى فلسطين، أغلب المقالات تحدث فيها عن مدارس التجهيز، وعن وزارة المعارف وعن الأدب، كان يتحدث بحماسة جياشة عن وطنه وعن دينه وبعقلانية كبيرة وذكر الكثير من الحقائق التاريخية. تثير هذه المقالات إعجاب القارئ ودهشته وهو يفكر كيف كان لهذا الشاب "العشريني" بأن يكتب هذه المقالات الناقدة الاصلاحية بهذه القوة والصرامة بدون خوف أو جزع وبكل صراحة وحدّة وشدّة. ولكن ليس هذا كل ما كتبه الطنطاوي في تلك الأيام.

٢. الجامع الأموي في دمشق: وصف وتاريخ

هذا الكتاب رغم قصره وصفا دقيقا وتاريخا لمن أراد أن يقف على الجامع الأموي، يبدأ الكتاب بوصف عام للجامع ويستمر إلى ثلاثة فصول: "جولة في الأموي" و"في صحن الأموي" و"في الحرم". وفي هذه الفصول وصف لصور الجامع ومداخله وبواباته، ثم الصحن بقبابه وبلاط أرضيته، ثم حرم الجامع (أي الجزء المسقوف منه) بمنبره ومحاريبه الأربعة.

وبعد ذلك سبعة فصول تستعرض تاريخ الجامع من يوم أُنشئ إلى زماننا الحاضر، وذكر الطنطاوي في الكتاب ما مرّ بالأموي من حرائق وزلازل وما أُجري عليه من

---

١ د. محمد يوسف نجم: فن المقالة، ص ٩٧.

إصلاحات في القبة والمآذن، وفي الفصل "الأموي في أواخر القرن السادس الهجري"، وصف تفصيلي للأموي في ذلك الوقت نقله عن ابن جبير و"الحريق الأخير"، وفيه قصة حريق الجامع سنة ١٣١١هـ، وأخيرا فصل عنوانه "الإصلاحات الجديدة"، وهو تقرير حصل عليه المؤلف من مهندس الأوقاف يومئذ، السيد مكين المؤيد.[١]

٣. تعريف عام بدين الإسلام

يقول الشيخ الطنطاوي في بداية هذا الكتاب عن ضرورة إصداره:

> "كنت أول من جمع في دمشق بين أسلوبي الدراسة، وكان العلماء يومئذ بين (شيخ) لا يعرف من علوم الدنيا الحديثة شيئا، وبين (أفندي) لا يفقه من علوم الدين شيئا، إلا شيئا قليلا لا يُغني ولا يجزي. فتنبهت مبكرا إلى ضرورة عرض الإسلام بأسلوب عصري، وكتبت في ذلك مقالات، ونشرت رسائل، ذكرت منها من نحو خمسين سنة بعض الآراء التي أُوردها اليوم، في هذا الكتاب."[٢]

والدافع الآخر لتأليف الكتاب هو لما كان يُعلّم في بغداد، سأله طلاب عن كتاب واحد ليفهموا منه الإسلام، فكتب في الرسالة مقالات يدعو فيها العلماء إلى تأليف هذا الكتاب، فلما لم يستجب له أحد، باشر العمل نفسه وأنجز الكتاب. نشر أول الأمر مقالات في جريدة "المدينة" السعودية سنة ١٩٦٩م، ثم نشر وزارة المعارف الأردنية في عدد خاص من مجلتها "رسالة العلم"، وبعد ذلك نُشر في كتاب أعيد طبعه إلى اليوم أكثر من ثلاثين مرة وتُرجم إلى عدة لغات. يتألف هذا الكتاب من اثني عشر فصلاً ومقدمة وخاتمة. فأما المقدمة -وهي بعنوان "بين يدي الكتاب"- ففيها تصوير جميل لمعاني الفطرة والتكليف وطريقَي الجنة والنار وحقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة.

---

١ مجاهد مأمون ديرانية: علي الطنطاوي-أديب الفقهاء وفقيه الأدباء، ص١٠٩-١١٠.

٢ علي الطنطاوي: تعريف عام بدين الإسلام، ص ٦.

٤. دمشق

يضم هذا الكتاب تسع عشرة مقالة كُتبت بين عامي ١٩٣١ و١٩٦٤، والاسم الكامل لهذا الكتاب هو: "دمشق: صور من جمالها، وعبر من نضالها"، وهو اسم يوحي بأن مقالات الكتاب وصفية أو تاريخية. والحقيقة أن فيها من ذلك كثير، لكن في الكتاب أيضاً صوراً من الأدب وفيضاً من المشاعر والأحاسيس بل إن فيه فصولاً من الذكريات، مثل مقالة "ساقية في دمشق" (وفيها أشتات من ذكريات الدراسة في الكتّاب) و"مكتب عنبر"، وهذه الأخيرة كانت في الأصل مقدمة كتبها المؤلف لكتاب أصدره ظافر القاسمي عن مكتب عنبر سنة ١٩٦٣، فنجده قد استرسل -فيها- في هذه الذكريات وهو يقول مخاطباً مؤلف الكتاب:

> "لقد حركتَ سواكن نفسي، وبعثت لي ذكريات أمسي، وهززتني هزاً، حتى لقد أحسستُ كأن قد عادت لي مواضي أيامي، وهل تعود الأيام الماضيات؟ لقد كان عهد مكتب عنبر جنتي التي خرجت منها ثم لم أعُد إليها، فرجَعْتَني إليها -يا أخي ظافر- بكتابك، أطير من فوق أسوارها العالية وأبوابها الموصدة بجناحين من ذكرى وخيال، حتى أدخلها مرة ثانية، فأعيش فيها في حلم ممتع فتّان".[١]

٥. صور وخواطر

يحتوي هذا الكتاب على ثمان وثلاثين مقالة نُشرت بين عامي ١٩٣٥ و١٩٦٦م. منها مقالات في الأدب المحض، ومقالات فلسفية مثال "السعادة" و"بيني وبين نفسي" و"بين البهائم والوحوش" و "لا أُؤمن بالإنسان" و"رقم مكسور"، ومنها مقالات اجتماعية كما في الكتاب بعض المقالات الطريفة المضحكة ومنها "أعرابي في حمام" و"أعرابي في سينما" و"الأعرابي والشعر" و"مجانين" و"عقلاء المجانين"، ومن هذه المقالات الطريفة "ديوان الأصمعي" الذي لا يمكن التمتع منها إلا لمن له نظر عميق في

---

١ نقلا عن مجاهد مأمون ديرانية: علي الطنطاوي، ص١٠٥.

الأدب العربي القديم والحديث. وبعض مقالات الكتاب قد طُبعت مفردة في رسالة صغيرة مرات كثيرة ومنها "يا ابني" و "يا بنتي" وربما بلغ ما طبع منها أكثر من نصف مليون نسخة، وقد ترجمت إلى اللغة الأردية أيضا وهي متداول بين الناس في الكشمير. يقول الطنطاوي في مقالته "مجانين":

"وإذا شاهدتم رجلا يعتزل في الكوخ، أو ينفرد في غار، ولا يقبل على الدنيا، ولا يكلم الناس قلتم إنه (مجنون)، ولكن "الغزالي" عاف الدنيا وقد اجتمعت له، والمجد وقد أقبل عليه، والرياسة وقد أتته منقادة تسعى إليه، وحبس نفسه في أصل منارة الجامع الأموي في دمشق، فهل كان (الغزالي) حجة الإسلام وعلم الأعلام مجنونا...(ثم يقدم أمثلة كثيرة ويسأل)

أكانوا كلهم مجانين؟ أما في رأي العامة، فنعم!

ذلك لأن القافلة تمشي، فمن سايرها عدّه أهلها عاقلا، ومن تقدم عنها يسلك طريقا جديدا قد يكون أقرب وآمن، عدّوه مجنونا، كمن تأخر عنها ليتيه في مجاهل الصحراء!

لكن ذاك جنون العبقرية، وهذا جنون المارستان!" [١]

٦. فتاوى الطنطاوي

كان الطنطاوي يجيب عن أسئلة وفتاوى الناس بالهاتف من بعد العصر إلى قبيل المغرب كل يوم، ثم كان يقعد في الحرم المكي مقعدا عاما للفتوى بين صلاتي المغرب والعشاء سنين طوالا وكان هذا بالإضافة إلى فتاواه في برنامجي الإذاعة والرائي، فجمع هذا الكتابُ طائفة من الفتاوى التي كانت قد نُشرت في جريدة "الشرق الأوسط" بين أواخر سنة ١٩٨٢م وأوائل سنة ١٩٨٤م، فلما اجتمع لديه قدر منها قرر أن ينشرها في كتاب منفرد، بحيث نحا فيها مؤلفه نحواً جديداً مبتكراً في تبسيط جواب كل مسألة

١ علي الطنطاوي: صور وخواطر، ص ٥١ و٥٥.

وتبويبه في فقرات مرقَّمة يسهُل فهمهما ويمكن لكل واحد من الناس الاستفادة منها.

يضم هذا الكتاب مئة وستاً وسبعين مسألة رُتّبت في اثنين وعشرين باباً، وهذه الأبواب -حسب ترتيبها في الكتاب- هي: المنامات والكرامات والجن والأرواح، والقرآن الكريم (ويضم فتاوى في رسم المصحف وترتيبه والحروف المقطعة في أوائل بعض سوره)، والمذاهب (وفيه فتاوى عن نشوئها واختلافها والموقف الصحيح منها)، والإسلام (وفيه مسائل عن معناه وصلاحه لكل الأزمنة وعن معنى الأمانة التي حملها الإنسان، وبحث عن القومية والإسلام)، والصوفية، ومشكلات الشابات المتدينات، وطفل الأنابيب والغناء والصور والتدخين، وتقنين الأحكام الشرعية والحكم بشرع الله، وفتاوى في المال والمعاملات المالية (وهو باب يضم فتاوى عن الشركات المساهمة والبيع بالتقسيط والربا والإيجار وحبس المدين وبعض المسائل المتفرقة الأخرى)، ومشكلات الشباب، وحجاب المرأة ولباسها وزينتها (ويضم مسائل متفرعة عن هذا الموضوع كعمليات التجميل والنمص وثقب آذان البنات والذهب المحلَّق)، والحيض والغسل والرضاع والحضانة والعدة، والزواج والطلاق، والطهارة والنجاسة، والصلاة، والصيام وإثبات دخول رمضان بالحساب، والحج والعمرة، والزكاة وزكاة الفطر، والميراث والوصية الواجبة، والأنبياء والصحابة، وأسئلة لغوية وأسئلة عن أحاديث وأدعية، وأخيراً موضوعات متنوعة (وهو باب يضم ما لم يمكن تصنيفه في أي من الأبواب السابقة؛ مثل محبة الله ومخافته، والزهد في الدنيا، وثواب من يعمل الخير من غير المسلمين، والقتل الخطأ، وغسل الشهيد، وبر الأم، والاحتفال بعيد الأم، وتبني اللقيط، وإسقاط الجنين لغرض طبي، والتصفيق للخطيب، وزيارة القبور، وقتل الكلاب الضالة). وقد تفاوتت هذه الأبواب في سعتها وكثرة ما فيها من فتاوى، ولعل أطولها هي أبواب "الزواج والطلاق" و"الصلاة" و"الصيام" و"الحج"، وهي الموضوعات التي يكثر عنها السؤال غالباً.

٧. فصول اجتماعية

يقول مجاهد مأمون عن هذا الكتاب: "وبعد، فهذا هو الكتاب الرابع الذي وفق

الله عزَّ وجلَّ إلى إخراجه من الكنوز التي تركها علي الطنطاوي وراءه، وما بقي بعدُ كثير"[1]، هذا الكتاب مجموعة من المقالات التي تعالج فيها الطنطاوي الكثير من المشاكل والأحداث الاجتماعية التي تمر بنا يومياً، كالاستهلاك، والزيارات، والهدايا، والتبذير والتقتير، والسعادة، والوهم، والذنوب، وتربية الأولاد، والزواج والطلاق، والمساواة بين الجنسين، والدفاع عن المرأة، والامتحانات، والهدايا، والاحوال الشخصية.

٨. فصول إسلامية

يضم هذا الكتاب اثنين وثلاثين مقالة نُشرت في أزمنة متباينة، من أواخر الثلاثينيات إلى أوائل السبعينيات، ويقع في ٢٧٠ صفحة وقد صدر للمرة الأولى في عام ١٩٦٠م، ثم أُعيدت طباعته مع زيادات في عام ١٩٨٥م.

ينتهز الطنطاوي كل فرصة للحديث عن الإسلام وهو يتحدث عن الإسلام ومستقبله من نواح شتى حتى صارت هذه المقالات كتبًا كثيرة وهذا الكتاب أيضا مجموعة مقالات إسلامية، يقول المؤلف في مقدمته للكتاب:

> " هذه فصول إسلامية، كُتبت في أزمنة متباعدة، فاختلف أسلوبها، ولكن اتّحدت-بحمد الله- أغراضها ومقاصدها، وربما تكرّرت فيها المعاني، ذلك لأن الشُبه تكرّر ورودها فاضطررنا لتكرار ردّها، وإن من الحقائق ما لا تضرّ معه الإعادة ولا تُبليه كثرد الرد، وأنا أسأل الله أن ينفع بها، وألا يحرم كاتبها الثواب عليها".[2]

٩. فصول في الدعوة والإصلاح

صدر هذا الكتاب بعد وفاة الطنطاوي وقد جمع مادته حفيد المؤلف من مقالات نشرت في الصحف والمجلات وأحاديث أذيعت في الإذاعات أو ألقيت على المنابر بين

---

١ علي الطنطاوي: فصول اجتماعية، ص ٧.

٢ علي الطنطاوي: فصول إسلامية، ص ٤.

عامي ١٩٣٦م و١٩٩٠م، يحتوى على مقالات عجيبة وأخرى مؤلمة، تتناول المجتمع من نواحي الفكر واللغة والاسلوب فهو مفيد جدا خصوصاً للتربويين ومن يهتم بالمجتمع، حيث يعجب القارئ كثيراً من نظرته الشاملة للقضايا المعاصرة، كالقومية والعربية والتقدمية والرجعية والاشتراكية وغيرها، من جوانبها وطرحه للحلول بنظرة شرعية تربوية، وحرصه على مستقبل الأمة فهو يقول تحت عنوان "إلى علماء الشيعة" :"ونحن المسلمين اليوم يحيط بنا الأعداء من كل جانب وتنصب علينا المصائب من كل مكان، ثم نختلف في أبي بكر وعليّ رضي الله عنهما...الخليفة الذي بايعته هذه الأمة بالخلافة سنة خمس وثلاثين للهجرة كان من حقه أن يبايع بها سنة عشر، ويرى(حزب من المسلمين) أن تأخير بيعته خمسا وعشرين سنة وتقديم ثلاثة رجال عليه أمر يستحق أن نتنازع نحن الآن عليه، بعد ألف وثلاثمئة وخمسين سنة، وبعد ما تبدلت الأرض وتغير وجه الدنيا...مع أن هذه الخليفة نفسه قبِل بتقديم الثلاثة عليه، وبايعهم بالخلافة بيده، وأعطاهم طاعته وأولاهم مودته!...على أن أهل السنة لا يطيلون النزاع في أفضلية أبي بكر أو عليّ رضي الله عنهما، ولا يرون لذلك خطرا في الدين، لأنه إن كان الفضل عند الله فالله أعلم به، وهو لا يُسئل عما يفعل، ونحن لا دخل لنا في القضية، وإن كان في الإدارة والسياسة فقد ولّى الرجلان، والحكم الآن للتاريخ وأهله.

١٠. في سبيل الاصلاح

هذا الكتاب يضم ثلاثا وثلاثين مقالة، يعود أكثرها إلى عشر الأربعينيات والكتاب يحمل شعار الإصلاح لمناحي شتى تهم الأمة على مدار الأزمنة ويعالج سلوكيات المجتمع من غش وخداع ومماطلة وسرقة وكذب وظلم وغيرها وبعض المقالات في أسلوب فكه كما يوجد في مقالة "مناظرة هادئة" ففيه نقاش مثمر حول النهضة النسائية، ومقالة "حق الضيافة"، يقول حفيد الطنطاوي عن هذا الكتاب:

> "إن مقالات الكتاب حافلة بالدعوة إلى الخير والصلاح ومكارم الأخلاق، فنجد الدعوة إلى الفضيلة ومحاربة الفساد العنصر الأبرز في عدد منها، كما في "دفاع عن الفضيلة"، و"رجل في ملابس النساء" وإلى علماء

مصر" و"المشكلة الكبرى"...فنجد الانتصار للفقراء والدعوة إلى العدالة الاجتماعية في مقالات: "إنذار" و"تاجر حرب" و"بطون جائعة وأموال ضائعة" و" يا أيها الأغنياء" و"إلى القرية يا شباب"، ونجد تشخيصا وعلاجا لمشكلات اجتماعية (كالغش والمماطلة والتطفل والاستهتار والفردية والأنانية والنفاق وضياع الأمانة).[1]

وكذلك يدافع في الكتاب عن الأزهر ويدعو إلى إصلاح التعليم والأدب وإحياء اللغة في بعض المقالات، وبالجملة يوجد في هذه المقالات مواضيع نافعة والنصائح المفيدة التي تنبثق من خبرته الواسعة فهو كما نعرف يستمع كل يوم إلى قضايا مثلها في المحكمة.

١١. مع الناس

يضُم هذا الكتاب أربعين مقالة مكتوبةٌ في فترات متباعدة، بعضها من أوائل ما نشر في الصحف في مطلع الثلاثينيات، ولكن أكثرها مما نُشر في أواخر الخمسينات، تهتم معظمها بقضايا الناس وهمومهم ومشكلاتهم، تنوع فيها الشيخ بين مواضيع تاريخية، سياسية، اجتماعية وقصصية عاصرها في حياته ثم شرع الى بثها في المذياع ليتعلم منها الجيل ويلخص لهم تجربته كعالم جليل ذي خبرة لأنه عاش حياة مليئة بالتجارب والعبر، نلاحظ في الكتاب كثيرا من التكرار ولكن ربما لبعد المسافة الزمنية بين طرح مقالة وأخرى ولأهمية الموضوع، فهي مقالات اجتماعية واقعية. ولما كان كثير منها مما أُذيع من إذاعة دمشق (حين كان للشيخ حديث أسبوعي يُذاع منها كل يوم جمعة) فإنها قد جاءت وصفاً لما في المجتمع من مشكلات وسعياً إلى المعالجة والإصلاح.

١٢. من حديث النفس

في الكتاب ست وثلاثون مقالة كتبها صاحبها بين عامي ١٩٣١م و١٩٦١م،ونحو

---

١ مجاهد مأمون ديرانية: علي الطنطاوي أديب الفقهاء وفقيه الأدباء، ص ٧٥.

نصف مقالات كُتبت في عقد الثلاثينيات، يذكر فيها الطنطاوي أشتات من ذكريات الطفولة المبكرة والشباب، يصف فيها نفسه أو يعبر عن عواطفه وانفعالاته وكان الطنطاوي-في تلك المرحلة من حياته- في توثب لا يفتُرُ وهمّةٍ لا تنِي، وإن المشاعر لتضطرم في نفسه حتى ما يطيق حملها فيبثّها في ثنايا الصفحات وينشرها عبر سطور المقالات، ففيها مقالات "في الكُتّاب" وفي معهد الحقوق" و"إلى حلبون" و"ذكريات" و "من التعليم إلى القضاء" و"قصة معلم" وفي هذه المقالة يصف نفسَه حين صار معلما في المدارس الابتدائية، وحال المعلمين مثله من خلال حوار خيالي مضحك ومؤلم.

١٣.هتاف المجد:

الكتاب يحتوي على خمس وثلاثين مقالة، منها ما كان أحاديث أُذيعت في الإذاعات أو خطبا ألقيت في الاحتفالات والمهرجانات، ومنها ما نشر في الصحف والمجلات في مختلف السنوات في منتصف الأول من القرن الماضي، يجمعها هدف واحد وهو استنهاض همم المسلمين والعرب أيام الاستعمار والاحتلال الصهيوني، يزرع الكاتب الأمل في النفوس في وقت تكالب فيه الأعداء على الأمة الإسلامية فهو يوقظ الضمائر الحيّة، ويشعل في النفوس شعلة الجهاد وحب الحرية وحب الاستقلال والتخلص من براثن الظالمين وبذل الروح والدم في سبيل ذلك، تكلّم فيه الشيخ بلسان الحريص على إيصال مثل هذه المعاني لمستمعيه في تلك الأيام، وأظنه نجح في ذلك وبجدارة بما يملك من أسلوب أدبي لامع رائع جداً، فنحن نجد الكاتب تارة يعكس حرقة قلبه ويستنكر الجمود والصمت، وتارة أخرى ينمي في نفوس مستمعيه مشاعر الإباء والعزة ويحثهم على التفكر في كيد المستعمرين.

خاتمة

كتب الطنطاوي أكثر شيئ في قالب المقالة، فقد كتب مقالات منذ صغره في الصحف والجرائد حيث كان يعمل عند خاله في بداية مهنته في الصحافة، ومعظم كتبه تحتوي على المقالات، وموضوعها الرئيسي يدور حول الدعوة والإصلاح، ثم يتحدث في المقالات الأخرى عن السياسة وخاصة عن الصهاينة والمستعمرين، وقضية

فلسطين تحتل مكانة مركزية في هذا النوع من المقالات، ومن ميزات المقالات الاجتماعية أنه لا يستعرض المشاكل فحسب بل يقدم حلولاً لها، ومن ميزات بعض المقالات أيضاً أنه قام بالنقد للأدباء والشعراء انطلاقاً من توجهه أن "الفن للفن" مذهب مرفوض، ثم قليل ما توجد عنده المقالات الفلسفية والتأملية، ويفقد التعمق في هذا النوع من المقالات، فتتجلى فيها السطحية والسذاجة، ومما لا يمدح له في مقالاته أنها لا تقبل التنوع المذهبي والفكري وكثير ما يحدد الفكر الإسلامي من منطلق مذهبه الضيق أفقًا. يتناول الطنطاوي في معالجة موضوعاته الأساليب البيانية المختلفة وفق متطلبات الموضوع ويلتزم بالأطر الفنية، والإسلامية، والفطرية دون تكلف وهو يستخدم أيضا الحوار والتحليل النفسي لإثارة العواطف وإيصال فكرته إلى نفس القارئ كما يستخدم أحيانا أسلوب التأمل ليكشف عن رؤيته وإحساسه تجاه القضية وأسلوب السخرية والفكاهة لإبراز المعايب والسلبيات.

المصادروالمراجع

١. الطنطاوي علي: الجامع الأموي في دمشق وصف وتاريخ، دار المنارة، جدة، ط ١، ١٩٩٠م.

٢. الألمعي مضواح إبراهيم: روائع الطنطاوي روائع من أدبه وفوائد من كتبه، دار المنارة، ٢٠٠٠م.

٣. الندوي أبو الحسن: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، دار الندوة، لبنان، ط ٢، ١٩٦٨م.

٤. الجدع أحمد: معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين، دار الضياء، عمان، الأردن.

٥. الشايب أحمد: أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ١٠، ١٩٩٤م.

٦. العلاونة أحمد: فهارس ذكريات علي الطنطاوي، دار المنارة، جدة، ط ٢، ٢٠٠٠م.

٧. أمين أحمد: النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٣، ١٩٦٣م.

٨. عبد الفتاح إسماعيل: أدب الأطفال في العالم المعاصر، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٩. المقدسي أنيس: الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ٦، ٢٠٠٠م.

١٠. السمهوري رائد: علي الطنطاوي وأعلام عصره (سيد قطب وآخرون-صداقة خصومة-نقد)، دار مدارك للنشر، ط ١، ٢٠١٢.

١١.مجلة الرسالة: العدد ١٠١، دار الرسالة، القاهرة.

١٢.مجلة الفيصل: مجلة ثقافية شهرية، الرياض، السعودية.

١٣.مجلة الوعي الإسلامي: وزارة الأوقاف، دولة الكويت، ٢٠١٤م.